# دور الإصلاح التربوي الإبراهيمي في حفظ مقومات وخصوصيات الأصول الجزائرية

# The role of the Ibrahimi educational reform in preserving the constituents and characteristics of the Algerian origins

د. بلال لعفيون *
جامعة محمد الصديق بن يحي(جيجل . الجزائر)

**Dr.Bilal Lafioune**

University of Mohamed Seddik Ben Yahia (Jijel -Algeria)

Bilalla18@gmail.com

| تاريخ استلام المقال:2020/11/05 | تاريخ القبول: 2020/11/28 | تاريخ النشر:2020/12/15 |
|---|---|---|

**ملخص**

العودة إلى تاريخ الجزائر في الفترة الممتدة من بداية ق19 إلى منتصف ق20، تجعلنا نقف على المرحلة الحرجة للجزائر؛ حيث انعكس بوضوحٍ مَسْعَىالإحتلال الفرنسي العَامِل فيه على إزالة خصصويات الأمَّة الجزائرية. وهو ما انجرّ عنه بروز نخبة من المثقفين الجزائرين عملوا على حماية الهوية من مخططات التهميش والتحريف التي تدبّر لها فرنسا، للعملتعلى طمس اللغة، الدين، العادات، والمعتقدات، بل حتى التوجهات الثقافية. فكان "محمد البشير الإبراهيمي"في تلك الحقبة أبرز رجال الجزائر الذين جسّدوا لسياسة إصلاح تربوي تعليمي وفقاً للمقومات الجزائرية العربية الإسلامية. وذلك بإعادة إحياء وبثّ الأصول، المقومات، وخصوصيات الفرد والمجتمع الجزائري. وهو الأمر الذي سنكشف عنه في مقالنا هذا.

***الكلمات المفاتيح:*** الإصلاح؛ التربية؛ التعليم؛ الأصول؛ المقومات.

**Abstract**

Return to Algeria's history from the beginning to the middle of s 19 to mid 20 s, makes us stand at a critical juncture for Algeria, where clearly reflected an effort when working on removing the French occupation the Algerian nation khssoiat. Which is what Unger about the emergence of elite Algerian intellectuals worked on viruses identification schemes marginalization and distortions which set her France, which worked on the blur of

* المؤلف المرسل: بلال لعفيون البريد الإلكتروني: Bilalla18@gmail.com

language, religion, customs, beliefs, and even cultural attitudes. It was Bashir Mohamed Brahimi "one of Algeria who they embody an educational reform policy tutorial according to Algerian Islamic Arabic elements. By reviving the broadcasting assets, competencies, individual privacy and Algerian society.Which we will disclose in this article.

***Keywords:*** reform; education; education; assets; ingredients.

**مقدمة**

يُعدُّ الحديث عن الإصلاحات التَّربوية للعلامة "محمد البشير لإبراهيمي" بمثابة الحديث عن النَّبع الذي سقى المسار التَّحرري للجزائر؛ ذلك أنَّه انْبَنَت عليها جُلّ الجِهات المنالضة في سبيل سيادة الجزائر على أرضها ومُقوّماتها؛ فكُلٌّ من النِّضال(السياسي، العسكري، العلمي،،،) قام بفضل الإصلاح التَّربوي التَّعليمي ولو عُدم الأول لانعدم الثاني؛ إذ يستحيل المطالبة بالحرية في حال ما إذا كانت الهوية والأصول مغيَّبة، فتُثبَتُ الهوية حتى يُعلمَ أنَّ لهذا الشَّعب أسسًا وثوابتا بعد ذلك يَتِم السعي للحرّية. ودراسة فلسفة "الإبراهيمي" الإصلاحية وسعيه لتجسيد مشروعه في إطار المقومات والأصول الجزائرية يدفعنا إلى ضرورة استحضار وتَمَثُّل الفترة التي تواجد فيها، والظروف والخصائص التي ميَّزت زمانه وعصره وبلده، وهي الحقبة التي كان لها أثرٌ بالغٌ في نشأة هذا العلامة الفذّ، فالإبراهيمي أكبر وأوسع من أن نحدَّ جهوده في محور واحد ممثلا في الإصلاح التَّربوي؛ إذ له كذلك نشاطات وإصلاحات شملت ميادين أوسع منهاالسياسية والدينية، الاجتماعية، العلمية،(...). كما أنه تحركاته كان في الصعيدين الوطني المحلي، وكذا الخارجي العربي وغير العربي. وهذا حتى لا يُفْهَم من الدراسة أنَّها تُقدِم وتحصر أفق إصلاحات "الإبراهيمي" في حدود التَّربية.

إنَّ المضيُّ في هذا الموضوع "**الإصلاح التربوي الإبراهيمي ومدى تماشيه مع خصوصيات ومقومات الأصول الجزائرية**"؛ الذي قَرَنَّا فيه الإصلاح التربوي بالخصوصيات الجزائرية، يعكس بعدًا وقيمةً هامَّين. فلو قيَّمنا ودرسنا مثلا إصلاحات "الإبراهيمي" بمعايير وحيثيات الفترة التي تَمَّت فيها، فإنَّ أقلَّ ما يُمكن القول في التَّعبير عنها أنَّها فترة غُيِّبت فيها خصوصيات الأمَّة الجزائرية كُليا، مع سعيٍّ دؤوبٍ لمحاربتها وقمعها من طرف الإحتلال الفرنسي متى ما بدت بوادر تجلِّيها.

 E-ISSN- 2773-2886 / ISSN-2773-2894

فحَرِيٌّ بنا حين ندرس الإخراج والبعث لخصوصيات الأمة الجزائرية في مشروع الإصلاح التَّربوي "الإبراهيمي" أن نقرنه دومًا بظروف هذه الفترة ممثلة في الإحتلال الفرنسي. خصوصًا إذا علمنا أنَّ هذه الأصول كانت مُحارَبةً، يوم بُنِيَ عليها المشروع الأساسي لنهضة الجزائر.

والإشكالية الحاملة لفكرة هذا الموضوع يمكن صياغتها وفق الطَّرح التَّالي:

"العلامة الإبراهيمي"أيعدُّ المنشئ والباعث للإصلاح التَّربوي في المجتمع الجزائري من غير سابق إصلاحات، أم توجد إصلاحات سابقة اعتمد عليها في وضع مشروعه؟. وهل هذا الإصلاح الذي قام وسعى فيه وإليه "البشير الإبراهيمي" تأصليٌّ مؤسَّس ومحدِّد لمقومات وركائز أمّته، أم هو تنموي داعٍ للرقي والتَّطور ومسايرة المستجدات فقط؟. أو هو جمعٌ بين الأمرين؟. وهل هذا الإصلاح وُضِعَ للفترة التي تواجد بها "العلّامة البشير الإبراهيمي" وما تميّزت به ظروفها من احتلالٍ؟. أم فيه استشراف لفترة ما بعد الإستعمار وسبُل تجسيد وإتمام إصلاحاته فيها؟. كما أنَّ هذا المشروع الإصلاحي، هل خَصَّ به صاحبه الأمَّة الجزائرية وما تتميَّزُ به من أصولٍ ومقوماتٍ، أم ينطبقُ على بقيّة الأُمِم الأخرى؟. وهل كان "الإبراهيمي" وحده يمضي في إصلاحاته التربوية هذه، أم كانت جهوده منسَّقة ذات طابع جماعي مُتعدِّد الأطراف والمجالات والشَّخصيات المحركة له؟. لأجلِ إعطاء فاعلية وتأثير أكبر لمشروعه.

وقبل التَّفصيل في دراسة وتحليل جزئيات الموضوع نُبيّن المصطلحات والمحاور الرئيسة التي يرتكز وينبعث فيها البحث. فبالنَّظرِ في العنوان:**"الإصلاح التربوي الإبراهيمي ومدى تماشيه مع خصوصيات ومقومات الأصول الجزائرية"** يتبيَّن لنا ثلاث مفردات أساسية هي على التَّوالي: (الإصلاح، التربية، الخصوصيات والمقومات الجزائرية). مع علاقة هذه النقاط الثلاثة بـ "العلّامة البشير الإبراهيمي"، أو بالأحرى نختصرها في التَّساؤل عن كيفية بَثِّ "الإبراهيمي" لمشروع الإصلاح التَّربوي في إطار خصوصيات الأمة الجزائرية.

وقد اترسمَ مسار هذه الدراسة في ضوء هذه النِّقَاطِ الثلاثة على النَّحو التَّالي:

1. بيان المقصدية من **التَّربية**، ما هي؟.
2. توضيح **الإصلاح**، ما هو؟.


E-ISSN- 2773-2886 / ISSN-2773-2894

3. ذكر **خصوصيات ومقومات الأمّة الجزائرية**، التي مثَّلَت ركائز ودعائم الإصلاح التَّربوي.

وبعد عرض هذه المحاور الثَّلاثة مفصَّلةً ومستقلةً، يَتمُّ نِقاشها في تركيبة فكريَّة في إطار الجمع الذي أحدثه "العلامة البشير الإبراهيمي" بينها في مشروعه الإصلاحي.

**1.** بدايةً مع مصطلح **التَّربية**. هل له معنى واحد معتمد، أم يخرج إلى أكثر من معنى؟. وما هو المعنى المراد في هذه الدِّراسة، والمقصود في إصلاحات "العلامة الإبراهيمي"؟.

مصطلح "**التربية**"، يتركَّب من شِقَّين؛ الأوَّل منهما **أخلاقي**، والثاني **تعليمي**؛ فلمَّا نقول التّربية يكون القصد منها إمّا تربية أخلاقية. كما تعني التربية كذلك التربية العلمية أو التّعليمية التي هي تلقينٌ المعارف والأفكار. والشّائع المعتمد أنَّ التَّربية تجمع بين التربية الأخلاقية والتكوين العلمي، كما هو معتمد في هذا القطاع "التربية والتعليم" إشارة لمراحل التعليم ما قبل الجامعي؛ التي يكون فيها التكوين علميًّا وأخلاقيًّا، وهو المعنى المراد في هذه الدراسة والمذكور في ديباجة الملتقى.

2.أمَّا مصطلح "**الإصلاح**" فالمعنى العام له هو: «إعادة التشكيل(re-form) أي أن يشكل من جديد، ولهذا فهو يمكن أن يُفهَمَ بمعنيين مختلفين: تعديل حالة مغلوطة للأشياء، أو تحويرها نحو الأحسن، والعودة بشيء ما نحو وضعه الأصلي» (بينيت، 2010، ص84) ولمَّا نذكر كلمة الإصلاح يُفهم أنَّ هذا الأمر المراد إصلاحه موجودٌ مسبقًا قبل اشتغالنا عليه، فنحن لسنا بصدد وضع شيء جديد وإخراجه للوجود، بل تقويم وتعديل وإضافة فقط. ومن هنا كذلك يبرز لنا احتمالين لمعنى الكلمة هما:

1.2. إمَّا أنّ هذه القضية أو المشروع التَّربوي، وُضع ناقصًا في بعض جوانبه تتخلَّله هفوات وفجوات دفعت إلى ضرورة الإشتغال عليها لأجل إخراج صورة جديدة، وبعث المشروع في نظامٍ أكثر إحكاما واستعابا للقضايا التي ينبغي تضمُّنها.

2.2. أو أنَّ المشروع وُضِع في تصورٍ محكمٍ مضبوط، وكانت هناك أيادي عملت على تحريفه مع ظروف ساهمت في تغيير مساره. أو كان هناك إضطراب في تطبيقه ناتج عن زلات وغلطات، أدَّت كلّها أو بعضها إلى العدول عن المسار المسطَّر للمشروع.

من هنا نتساءل كيف نُمَوْقِع إصلاحات "العلَّامة". هل هي إصلاحات لمشروع تربوي سطَّره سابقوه غير متكامل البِناء، فأراد الإسهام فيه بعرض أفكار وإقتراح رؤى تزيد هذا المسار الإصلاحي ضبطًا وتماسكا؟. أم أنَّ إصلاحاته كانت مستمرةً مسايرة لمسار المشروع الإصلاحي، تحدِّدُ الأسس وتوجه وتنير دروب المشتغلين على الإصلاح من جهة. كما تسعى كذلك للرَّد وإبعاد مكائد التَّضليل التي تعترضه من جهة ثانية؛ لأجل شحن حركة الإصلاح بنَفَسٍ جديدٍ، وإخراج مشروع إصلاحي في إطار أفضل ممَّا هي عليه حركة الإصلاح في زمانه؟.

إنَّ الرَّد على هذا التَّساؤل ليس إختياريا بترجيح رأي وإغفال أخر، وإنَّما جامع للإحتمالين؛ ذلك أنَّه بالنَّظر في مشروع العلامة "البشير الإبراهيمي" وتعقبه زمنًا، نجد أنَّ المشروع تمَّ في سيرورة بمجموعة متتالية من الإصلاحات، لأجل إحداث صيرورة تُحوِّل وتُغيِّر الأوضاع لأجل إحداث نقلةٍ نوعيةٍ، وبيان ذلك على النَّحو التَّالي:

كون بداية المشروع الإصلاحي للعلامة الإبراهيمي وسعيه في الإصلاح التربوي والتعليمي بدأت تتجسد على أرض الواقع يوم كان بأرض البقاع المقدسة خصوصا في النقاشات والتدابير التي أجرها و"ابن باديس" سنة1913م، وهذا ما يؤكده بلسانه عندما يقول: «وأشهد الله أن تلك الليالي من سنة 1913ميلادية هي التي وضعت فيها الأسس الأولى لجمعية العلماء المسلمين التي لم تبرز للوجود إلا في سنة 1931». (الإبراهيمي، 1997، ص278 ) وإلى هذه الفتره نجد هناك مشتغلين بالإصلاح التربوي، وبالتالي نُسجِّل انطلاقا من هذا أنّه يوجد من كان لهم فضل السّبق على "الإبراهيمي" في التربية. لكن بداية الإهتمامات التَّربوية كان يَتمُّ في إطار خُطب وكتابات الوعظ والإرشاد مع بعض الكتابات في المجال، من طرف مشائخ زوايا أو مدارس قرآنية. وهذا لا يمثِّل مشروعًا تربويًّا بقدر ما هو إرشادات وتوجيهات؛ والإصلاح لهذا الوضع أو الطريقة المعتمدة في الإرشاد التَّربوي الجزائري تمَّ بأن اشتُغل على وضع أسسٍ وتحديد مبادئ وركائز يقوم عليها أمر الإصلاح؛ أي إصلاح مُمَنهج ببرنامج وتخطيط لمساره على المدى البعيد.

- الرأي الثاني ممثلا في كون إصلاحات العلّامة كانت بَانِيةً لحركة مشروع الإصلاح التربوي الجزائري ومستمرة مع مساره بالتوجيه والتَّسديد للمشروع لكون "الإبراهيمي المحرك الدَّافع لمسار


E-ISSN- 2773-2886 / ISSN-2773-2894

المشروع قُدُمًا؛ إذ يطرح ويحدد مناهج وأسس لضبطه من جهة. وكذا يدفَعُ ويُبعد مُبطلاً المساعي الطاعنة والمعرقلة لمسار هذا الإصلاح، هذا الدَّوْد والحرص على تخليص مسار المشروع من العراقيل المختَلَقَة له، يتأكد لنا لمَّا نعلم أن هذا المشروع التربوي تمَّ في ظل وجود سياسة إستعمارية قامعة، ومثَّل واجهةً مضادة لكُلِّ المخططات والمشاريع التي تقف وراء إنارة درب وأفق المجتمع الجزائري. فالمُحتَّل لا يريد أن تُنار حياه هذا الشعب ولا أن يبصر الأفق إلى مدى بعيد، يستشرف معه معالمه ويزداد وَعْيُهُ بحقوقه، وكامل مساعيه في أن يتحكم في حريات هذا الشعب السياسية والعلمية، والتضييق قدر الإمكان على فكره، ولا أَدَّلَ على ذلك من كثرة سلسلة الإعتقالات التي تطال كل من تبنَّى مشاريع إصلاحية أو سعى في سبيل حرية وكرامة وسيادة هذا الشعب على أرض ومقوماته.وهذا ما يصوره "الإبراهيمي" حين يقول: «لم نشك لحظة منذ وضعنا قدمنا في طريق الإصلاح .. ورفعنا الصوت بالدعوة إليه في أن الله سيديل للحق من الباطل وأنه يبتلي أولياءه بالأذى والمحنة ليمحصهم .. ولم نزل على يقين تَتَجدَّدُ شواهده أنَّ في المصائب التي تصيبنا في سبيل الإصلاح شحذا لهممنا وإرهافا لعزائمنا؛ وثباتا لأقدامنا، والفاتا للغافلين عنا إلى موقعنا من الأمة وموقفنا من الأمة وموقفنا من أعدائنا» (جمعية العلماء المسلمين، 1936، ص02 )

وإن أهم ما سعى الإحتلال الفرنسي لتمكينه في أرض الجزائر وعقول سكانها، نقاط ثلاثة رئيسة جامعة لعديد القضايا تحتها وهي:

- اعتماد اللِّسان و**اللغة الفرنسية** في الحياة اليومية وفي التَّعليم وتسيير شؤون البلاد؛ وهذا حتى يتمَّ كلُّ شيء حامِلاً بُعدًا خاصًا بفرنسا لا الجزائر. فلسان الحال الفرنسي خاص بفرنسا لا بالأمة الجزائرية.
- نشر **المسيحية** والسعي لتنصير كلِّ من يستوطن الأرض الجزائرية، حتى يصير أفراد الجزائر موازين للبلاد الفرنسية في هذا الأمر، والمسيحية لا تتوافق ودين الأمَّة الجزائرية.
- التَّأكيد على كون **الجزائر مقاطعة فرنسية** وأرض تابعة لها، وهذا يُلغي حرية وسيادة الجزائريين على أرضهم وبلادهم.


E-ISSN- 2773-2886 / ISSN-2773-2894

ومتى ما تمَّ إعتماد وتبنّي هذه الأمور الثلاثة، فكلُّ ما بُنِي عليها يكون خادمًا ومدعمًا لفرنسا وسياستها الإستوطانية بالجزائر، وبعثاً لهويتها وخصوصياتها، وفي نفس الوقت طامسا ومزيلا للمقومات الجزائرية. وهذا ما جعل المُحتَّلَ يفتح المجال لمن يُحي ويَمضي في إطار قوانينه وما رسمه لتجسيد وتأكيد شرعيته وأحقيته بأرض الجزائر وما فيها، والعكس كان يقوم به من ضحضٍ وخلخلة لكل من يمضي خارج الأفق الذي رسمه. ومن هنا تَتَجلَّى وتبرز لنا قيمة المشورع الإصلاحي للإبراهيمي، الذي بناه في إطار الخصوصية الجزائرية واستبعد كل ما يعد خارج عنها. وعلى نقيض هذه الضوابط التي مكَّنت لها فرنسا بالجزائر أخرج مشروعه الذي تَوَّجَ به كل ما هو جزائري وأهمل ما لا يتماشى وخصوصياتها.

3. **خصوصيات ومقومات الأمة الجزائرية** التي محور وبعث فيها "العلَّامة" فلسفته التربوية تتأكيد في أُسُسٍ ثلاثةٍ هي: **الإسلام دينا** لهذا الشعب، و**العربية لغة** له، و**الجزائر وطنًا** وبلدًا. وفي حقيقة الأمر هي ركائز مُتبنَّاة في جميع القضايا الوطنية (السياسية، التَّربوية، العلمية، العسكرية،...) لأنَّها تمثل الأصول التي نشأت واجتمعت تحتها الأطراف والهيئات الوطنية المناهضة للإحتلال الفرنسي وسياسته، لأجل بث الوعي بالمقومات والإتحاد تحت هذه الأصول ممَّا يُسهّل التَّنسيق والإتحاد بين كلِّ الأطراف للمُضَيّ في درب السيادة الوطنية. وهذا ما نجده مؤكدًا في نداءات جمعية العلماء المسلمين إلى الشعب الجزائري، التي رأت أنّ إتحاد الجزائريين لايتمَّ إلّا في إطار الأصول العامة التي تجمعهم (الأرض، الإسلام والعروبة)، إذْ بها يتأكد الإتحاد تحت هذه المبادئ، ومن ثمَّ بثُّ الوعي في إطارها لكلِّ شرائح المجتمع.

وما المشروع التربوي للعلامة "البشير الإبراهيمي" والنُّخبة المناضلة معه في سبيل الإصلاح، إلا ميدانا من الميادين التي أكدت على الأصول الجزائرية، ومضت في سبيل التمكين للتربية والتعليم لدى هذا الشعب في ضوء أصول ومقومات الفرد والأمَّة الجزائرية. فكيف تجلَّى نشاطه التربوي التعليمي في هذه الأصول؟. التي جمعت تحتها خصائصا تلتَمُّ تحتها العديد من المقومات من تاريخ وثقافة وتربية وحضارة وغيرها.


E-ISSN- 2773-2886 / ISSN-2773-2894

ولهذا المشروع بعدٌ كبيرٌ في مسار الجزائر إذا نظرنا إلى هذه الجهود بمعايير الفترة التي تَمَّت فيها، حيث كانت جلُّ الخصوصيات مُغَيَّبَة، فـ«التعليم كان فرنسيا بحتا، لاعربيا ولا جزائريا، واللغة الفرنسية فيه هي لغة الوطن، وبلاد فرنسا فيه هي الوطن، وتاريخ فرنسا فيه هو تاريخ الوطن وهكذا...» (المدني، ص141 ) وهذا ما أعطى الإصلاح التربوي والتعليم قيمة كبيرة، إذ أنّ «مأساة التعليم في بلادنا الجزائرية تساوي في هولها وفي فظاعتها مأساة الأرض، فهذه حرمت على أبنائها حياتهم المادية، وتلك حالت بينهم وبين النور، والحياة الإنسانية الفاضلة» ( المدني، ص141)

**1.3.** الأصل الأول الذي حرص "الإبراهيمي "على تمكينه في مشروعه الإصلاحي هو جعل **الدين الإسلامي** دينا للشعب الجزائري، وفي نفس الوقت نافيًا ورافضا للمسيحية وسياسة التنصير الفرنسي؛ فالإصلاح الديني يؤدي إلى إصلاح اجتماعي أخلاقي ويهيء النفوس والإرادات للتعلم والعمل، يقول الإبراهيمي: «أيها الإخوان من الغلط أن يقال أن جمعية العلماء جمعية دينية يجب أن ينحصر عملها في الإصلاح الديني بمعناه الذي عرفه الناس... والحقيقة أن هذه الجمعية تعمل من أول يوم من تكوينها للإصلاح الديني والإصلاح الإجتماعي وكل ذلك وسع الإسلام وكل ذلك يسعه مدلولها وموضوعها وقانونها. فالإسلام دين واجتماع، وإن كانت دائرة الأول محدودة فإن دائرة الثاني واسعة الأطراف وأن الإصلاح الديني لا يتم إلا بالإصلاح الإجتماعي. ولهذا الإرتباط بين القسمين فإن جمعية العلماء وهي الجمعية الرشيدة العالمة بحقائق الإسلام عملت منذ تكوينها في الإصلاحين المتلازمين وهي تعلم أن المسلم لا يكون مسلما حقيقيا مستقيما في دينه على الطريقة حتى تستقيم اجتماعياته فيحسن إدراكه للأشياء وفهمه لمعنى الحياة وتقديره لوظيفته فيها وعمله بحظه منها وينضج عقله وتفكيره... ويرى لنفسه من العزة والقوة ما يرونه لأنفسهم وتربط بينه وبينهم رابطة الأخوة والمساواة والمصلحة لا رابطة السيادة عليه» (جمعية العلماء المسلمين. 1936، ص6 )

**2.3.** الأصل الثاني كون **اللغة العربية** لسان الحال ولغة العلم والحوار، وفي هذا يقول "الإبراهيمي" مُعبِّرًا عن سعيِهِ في سبيل تعليم ونشر هذه اللغة «موضوع العروبة أو العربية هو الموضوع الذي اختاره الله لي، وجعله ميدان أعمالي وأحاديثي، ومجال قلمي وعِشرات السنين» ( الإبراهيمي، ص148 ) ويؤكد هذا الباحث "جمال سليم" أيضا لمّا يقول: «إن الشيخ محمد البشير الإبراهيمي(...)


E-ISSN- 2773-2886 / ISSN-2773-2894

ترك الجزائر في عام 1952 وبها 400مدرسة عربية و700معلم و96 ألف طالب وطالبة.. بمقتون اللغة الفرنسية المفروضة.. ويتكلمون العربية بطلاقة» ( الإبراهيمي، ص303 )

كما نشطت وراجت اللغة العربية في التعليم الحر؛ إذ أنّ الأمة الجزائرية لم تقف موقف الخائر القوى أمام الضريبة والقيود الإستعمارية، بل أقدمت بجهودها المحدودة الإمكانات على إنشاء المدارس العربية الإسلامية الحرة، وشادت منها ما يزيد عن 170 مدرسة تحت إشراف ورقابة جمعية العلماء المسلمين ( المدني، ص144 ) وقد ساهمت هذه المدارس الإبتدائية التي تعني بها جمعية العلماء بصفة خاصة خلال العشرين سنة الأخيرة من تكوين نخبة عربية إسلامية بالقطر الجزائري زاد عدد المتخرجين منها عن المئة والخمسين ألف. ( المدني، ص145 )

**3.3. الجزائر أرض الجزائريين** ضد سياسة الإدماج والقول بأن الجزائر مقاطعة فرنسية. ومتى ما رُبيت الأجيال على هذا وتعلَّموا يقينا أن الجزائر أرضهم، زادت عزيمتهم في السعي لاستردادها ونيل كرامتهم فيها، وهنا يقول "الإبراهيمي: «قولهم إن الجزائر قطعة من فرنسا، هي أغنية بلهاء ليس فيها ذوق ولا إنسجام» ( الإبراهيمي، ص39 ) لأنَّ الأرض تجمع الشعب أو الأمة بكلِّ خصوصياتها و«لا يبني مستقبل الأمة إلا الأمة» فالعِزَّة والتَّمكين يكون بأرضنا لا أرض غيرنا.

وبعد أن بيّن العلَّامة خصوصيات الأمة الجزائرية وبين أصولها ومقوماتها، شرع في إصلاحاتها الواسع في مجال التربية والتعليم، وقد ركز نشاطه في عدّة أمور أهمها:

الحِرص الكبير على تكوين الشباب باعتبارهم القلب النابض في الأمة وحاملي لوائها، ونملس عنايته حين يقول: «الشباب في كلِّ أمّة هم الدم الجديد الضامن لحياتها واستمرار وجودها، وهم الإمتداد الصحيح لتاريخها، وهم الورثة الحافظون لمآثرها، وهم المصحِّحُون لأغلاطها وأوضاعها المنحرفة، وهم الحاملون لخصائصها إلى من بعدهم من الأجيال» ( الإبراهيمي، ص120) وقد كانت توجهاته في التربية والتعليم دائما فيها حرصا على الأصول والخصوصيات الجزائري، منها قوله: «يا شباب الإسلام، وصيتي إليكم أن تتصلوا بالله تديّنًا، وبنبيكم اتّباعًا، وبالإسلام عملا، وبتاريخ أجدادكم إطلاعا، وبآداب دينكم تخلقا، بآداب لغتكم استعمالا، وبإخوانكم في الإسلام ولداتكم في الشبيبة


E-ISSN- 2773-2886 / ISSN-2773-2894

اعتناءً واهتمامًا، فإن فعلتم حزتم من الحياة الحظ الجليل، ومن ثواب الله الأجر الجزيل، وفاءت عليكم الدنيا بظلها الظليل» ( الإبراهيمي، ص121 )

كما نجد حرصه الكبير على الفاعِلية والتَّطبيق لما يُتعلَّم على الميدان، فهو«لا يرى العِلم علما حتى يكون مفيدا، ولا يرى الرأي رأيا حتى يكون سديدًا، ولا يرى الكتاب وسيلة للعلم حتى يظهر عليه أثر العقل المستقل، ويلوح عليه ميسم الفكر الولود، وينفض عليه صبغ القريحة الحية» ( الإبراهيمي، ص124 ) أي ما دام هناك بلدٌ اسمه الجزائر، دينه الإسلام ولغته العربية، فعلى أفراد هذا البلد أن يُمكِّنوا لمقوماتهم في واقعهم ويعيشوا حياتهم في ضوئها وليس بعيدا عنها.

ونلمس كذلك حِرصه على التَّنسيق والوحدة يقول: «إن الأمة الجزائرية أمة مسلمة عربية تربطها بالمسلمين رابطة الإسلام العامة، وتربطها بالعرب رابطة العروبة العامة... مع الإحتفاظ التام بمقوماتها الطبيعية التي منها الإسلام والعروبة وعدم التنازل عن الشخصية التي بها هي أمة» ( الإبراهيمي، ص134 ) والمقصود بالشخصية هنا الوطنية ومن ورائها تأكيد للروابط والمقومات.

**خاتمة**

وختاما لهذه الدراسة نخلص للقول أنَّ غاية وهدف العلامة "البشير الإبراهيمي" من مشروعه التربوي ليس تقديم المعارف والمعلومات بقدر ما هو ضبط للأصول والمقومات، وإبراز للخصوصيات الجزائرية، وكذا وضع أساس وقاعدة لممارسة النشطات التربوية التعليمية والمعرفية. إذ لو كانت الغاية المرجوة من الإصلاحات تقديم مادّة علمية معرفية لمتعلمين لاعتمد النظام التربوي التعليمي لإحتلال الفرنسي الذي له فضاءات وبرامج محكمة تسيره. لكن سعيه من مشروعه هذا كان لغايات وأهداف حُصّلت ثمارها في فتراتٍ لاحقة، فهو قام بتحديد معالم الهوية الوطنية بضبط جميع الأصول والخصوصيات والموقومات الجزائرية، وبثَّ أفكاره هذه في النَّشأ أو الجيل الذي عاصره ليعمل هذا الجيل على الرُّقي بهذه الأصول والمقومات وإرسائها قواعدا وقوانيين رئيسة في دستور الجزائر المستقلة. ولولا التربية على الأصول الجزائرية، لما كان هناك سعيٌ للمطالبه بها، ومن بعدها تمكينها في تسيير شرون البلاد. والفضل في في كلِّ هذا يعود للمؤسس والمربي الأول للأجيال على هذه الأصول؛ أي العلامة "محمد البشير الإبراهيمي" ورفقاء دربه.

**قائمة المراجع**


- بينيت، طوني وأخرون. (2010). مفاتيح اصطلاحية جديدة. (ترجمة، سعيد الغانمي). ط1. المنظمة العربية للترجمة. بيروت. لبنان.
- الإبراهيمي، أحمد طالب. (1997). أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي. ط1. دار الغرب الإسلامي. بيروت. لبنان.
- جمعية العلماء المسلمين. (1936). البصائر. 1(34).
- المدني، أحمد توفيق. هذه هي الجزائر. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة.
- جمعية العلماء المسلمين.( 1936). "خطاب الأستاذ الإبراهيمي في الإجتماع العام الخامس لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين". البصائر. 1(37).